فصل الوجه الثالث من النقل .

ما جاء عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين Bهم في ذم البدع وأهلها وهو كثير .

فما جاء عن الصحابة ما صح عن عمر بن الخطاب Bه أنه خطب الناس فقال : أيها الناس ! قد سنت لكم السنن وفرضت لكم الفرائض وتركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يمينا وشمالا وصفق بإحدى يديه على الأخرى ثم قال : إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم ـ أن يقول قائل : لا نجد حدين في كتاب ا فقد رجم رسول ا A ورجمنا ـ إلى آخر الحديث .

وفي الصحيح عن حذيفة Bه أنه قال : يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقا يعيدا ولئن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا .

وروى عنه من طريق آخر أنه كان يدخل المسجد فيقف على الخلق فيقول : يا معشر القراء اسلكوا الطريق فلئن سلكتموها لقد سبقتم سبقا بعيدا ولئن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا وفي رواية ابن المبارك : فو ا لئن استقمتم لقد سبقتم سبقا بعيدا الحديث .

وعنه أيضا : أخوف ما أخاف على الناس اثنتان : أن يؤثروا ما يرون على ما يعملون وأن يضلوا وهم لا يشعرون قال سفيان : وهو صاحب البدعة .

وعنه أيضا : أنه أخذ حجرين فوضع أحدهما على الآخر ثم قال لأصحابه : هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور ؟ قالوا : يا أبا عبد ا ما نرى بينهما من النور إلا قليلا قال : والذي نفسي بيده لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما بين هذين الحجرين من النور وا لتفشون البدع حتى إذا ترك منها شيء قالوا : تركت السنة .

وعنه أنه قال : أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما تفقدون الصلاة ولتنقضن عرى الإسلام عروة عروة وليطئن نساءكم وهن حيض ولتسلكن طريق من كان قبلكم حذو القذة بالقذة وحذو النعل بالنعل لا تخطئون طريقهم ولا تخطىء بكم وحتى تبقى فرقتان من فرق كثيرة تقول إحداهما : ما بال الصلوات الخمس ؟ لقد ضل من كان قبلنا إنما قال ا : { وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل } لا تصلون إلا ثلاثا .

وتقول الأخرى : إنما المؤمنون با كإيمان الملائكة ما فيها كافر ولا منافق حق على ا أن يحشرهما مع الدجال .

وهذا المعنى موافق لما ثبت من حديث أبي رافع عن النبي A أنه قال : .

[لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا أدري لا أدري ما وجدنا في كتاب ا اتبعناه] فإن السنة جاءت مفسرة للكتاب فمن أخذ

بالكتاب من غير معرفة بالسنة زل عن الكتاب كما زل عن السنة .

فلذلك يقول القائل : لقد ضل من كان قبلنا إلى آخره .

وهذه الآثار عن حذيفة من تخريج ابن وضاح .

وخرج أيضا عن عبد ا بن مسعود Bه أنه قال : اتبعوا آثارنا ولا تبتدعوا فقد كفيتم .

وخرج عنه ابن وهب أيضا انه قال : عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه بذهاب أهله عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إلى ما عنده وستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب ا وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم وإياكم والتبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق .

وعنه أيضا : ليس عام إلا والذي بعده شر منه لا أقول : عام أمطر من عام ولا عام أخصب من عام ولا أمير خير من أمير ولكن ذهاب علمائكم وخياركم ثم يحدث قوم يقيسون الأمور بآرائهم فيهدم الإسلام ويثلم .

وقال أيضا : كيف أنتم إذا ألبستم فتنة يهرم فيها الكبير وينشأ فيها الصغير تجري على الناس يحدثونها سنة وإذا غيرت قيل : هذا منكر .

وقال أيضا : أيها الناس ! لا تبتدعوا ولا تنطوا ولا تعمقوا وعليكم بالعتيق خذوا ما تعرفون ودعوا ما تنكرون .

وعنه أيضا : القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة .

وقد روي معناه مرفوعا إلى النبي A : .

[عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة] .

وعنه أيضا خرجه قاسم بن أصبغ أنه قال : [أشد الناس عذابا يوم القيامة إمام ضال يضل الناس بغير ما أنزل ا ومصور ورجل قتل نبيا أو قتله نبي] .

وعن أبي بكر الصديق Bه قال : لست تاركا شيئا كان رسول ا A يعمل به إلا عملت به إني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ .

خرج ابن المبارك عن عمر بن الخطاب : أن يزيد بن أبي سفيان يأكل ألوان الطعام فقال عمر لمولى له ـ يقال له يرفأ ـ إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمني فلما حضر عشاؤه أعلمه فأتاه عمر فسلم عليه فاستأذن فأذن له فدخل فقرب عشاؤه فجاء بثريد لحم فأكل عمر معه منها ثم قرب شواء فبسط يزيد يده وكف عمر يده ثم قال : وا يا يزيد بن أبي سفيان أطعام بعد طعام ؟ والذي نفس عمر بيده لئن خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم .

وعن ابن عمر : صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر .

وخرج الآجري عن السائب بن يزيد قال : أتى عمر بن الخطاب فقالوا : يا أمير المؤمنين إنا لقينا رجلا يسأل عن تأويل القرآن فقال : اللهم أمكني منه قال : فبينما عمر ذات يوم يغدي

الناس إذ جاءه عليه ثياب وعمامة فتغدى حتى إذا فرغ قال : يا أمير المؤمنين { والذاريات ذروا * فالحاملات وقرا } فقال عمر : أنت هو ؟ فقام غليه محسرا عن ذراعيه فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته فقال : والذي نفسي بيده لو وجدتك محلوقا لضربت رأسك ألبسوه ثيابه واحملوه على قتب ثم أخرجوه حتى تقدموا به بلاده ثم ليقم خطيبا ثم ليقل : إن صبيغا طلب العلم فأخطأ فلم يزل وضيعا في قومه حتى هلك وكان سيد قومه .

وخرج ابن المبارك وغيره عن أبي بن كعب أنه قال : عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر ا فففاضت عيناه من خشية ا فيعذبه ا أبدا وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر ا في نفسه فاقشعر جلده من خشية ا إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذا أصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها إلا حط ا عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها فإن اقتصادا في سبيل ا وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل ا وسنة وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادا واقتصادا أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم .

وخرج ابن وضاح عن ابن عباس قال : ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن .

وعنه أنه قال : عليكم بالاستفاضة والأثر وإياكم والبدع .

وخرج ابن وهب عنه أيضا قال : من أحدث رأيا ليس في كتاب ا ولم تمض به سنة من رسول ا A لم يدر ما هو عليه إذا لقي ا D .

وخرج أبو داود وغيره عن معاذ بن جبل Bه أنه قال يوما : إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيه القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر فيوشك قائل أن يقول ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ؟ ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره وإياكم وما ابتدع فإن ما ابتدع ضلالة وأحذركم زيغة الحكيم فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم وقد يقول المنافق كلمة الحق .

قال الراوي : قلت لمعاذ : وما يدريني يرحمك ا إن الحكيم قد يقول كلمة ضلالة وإن المنافق قد يقول كلمة الحق ؟ قال : بلى ! اجتنب من كلام الحكيم غير المشتهرات التي يقال فيها : ما هذه ؟ ولا يثنينك ذلك عنه فإنه لعله أن يراجع وتلق الحق إذا سمعته فإن على الحق نورا .

وفي رواية مكان المشتهرات المشتبهات وفسر بأنه ما تشابه عليك من قول حتى يقال : ما أراد بهذه الكلمة ؟ ويريد ـ وا أعلم ـ ما لم يشتمل ظاهره على مقتضى السنة حتى تنكره القلوب ويقول الناس : ما هذه ؟ وذلك راجع إلى ما يحذر من زلة العالم حسبما يأتي بحول ا .

ومما جاء عمن بعد الصحابة Bهم ما ذكر ابن وضاح عن الحسن قال : صاحب البدعة لا يزداد اجتهادا صياما وصلاة إلا ازداد من ا بعدا .

وخرج ابن وهب عن أبي إدريس الخولاني أنه قال : لأن أرى في المسجد نارا لا أستطيع إطفاءها أحب إلي من أن أرى فيه بدعة لا أستطيع تغييرها .

وعن الفضيل بن عياض : اتبع طرق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين .

وعن الحسن : لا تجالس صاحب هوى فيقذف في قلبك ما تتبعه عليه فتهلك أو تخالفه فيمرض قلبك .

وعنه أيضا في قول ا تعالى : { كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم } قال : كتب ا صيام رمضان على أهل الإسلام كما كتبه على من كان قبلهم فأما اليهود فرفضوه وأما النصارى فشق عليهم فزادوا فيه عشرا وآخروه إلى أخف ما يكون عليهم فيه الصوم من الأزمنة فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث قال : عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة .

وعن أبي قلابة : لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ويلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون قال أيوب : وكان ـ وا ـ من الفقهاء ذوي الألباب .

وعنه أيضا : أنه كان يقول : إن أهل الأهواء أهل ضلالة ولا أرى مصيرهم إلا إلى النار .

وعن الحسن : لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك .

وعن أيوب السخياني أنه كان يقول : ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من ا بعدا .

وعن أبي قلابة : ما ابتدع رجل بدعة إلا استحل السيف .

وكان أيوب يسمي أصحاب البدع خوارج ويقول : إن الخوارج اختلفوا في الإسم واجتمعوا على السيف .

وخرج ابن وهب عن سفيان قال : كان رجل فقيه يقول : ما أحب أني هديت الناس كلهم وأضللت رجلا واحدا .

وخرج عنه أنه كان يقول : لا يستقيم قول إلا بعمل ولا قول وعمل إلا بنية ولا قول ولا عمل ولا نية إلا موافقا للسنة .

وذكر الآجري أن ابن سيرين كان يرى أسرع الناس ردة أهل الأهواء .

وعن إبراهيم : ولا تكلموهم إني أخاف أن ترتد قلوبكم .

وعن هشام بن حسان قال : لا يقبل ا من صاحب بدعة صياما ولا صلاة ولا حجا ولا جهادا ولا عمرة ولا صدقة ولا عتقا ولا صرفا ولا عدلا ـ زاد ابن وهب عنه ـ وليأتين على الناس زمان يشتبه فيه الحق والباطل فإذا كان ذلك لم ينفع فيه دعاء إلا كدعاء الغرق .

وعن يحيى بن أبي كثير قال : إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في طريق آخر .

وعن بعض السلف : من جالس صاحب بدعة فزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه .

وعن العوام بن حوشب أنه كان يقول لابنه : يا عيسى أصلح قلبك وأقلل مالك وكان يقول : وا لأن أرى عيسى في مجالس أصحاب البرابط والأشربة والباطل أحب إلي من أن أراه يجالس أصحاب الخصومات .

قال ابن وضاح : يعني أهل البدع .

وقال رجال لـ أبي بكر بن عياش : يا أبا بكر من السني ؟ قال : الذي إذا ذكرت الأهواء لم يغضب لشيء منها .

وقال يونس بن عبيد : إن الذي تعرض عليه السنة فيقبلها الغريب وأغرب منه صاحبها .

وعن يحيى بن أبي عمر الشيباني قال : كان يقال يأبى لصاحب بدعة بتوبة وما انتقل صاحب بدعة إلا إلى شر منها .

وعن أبي العالية : تعلموا الإسلام فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه وعليكم بالصراط المستقيم فإنه الإسلام ولا تحرفوا يمينا ولا شمالا وعليكم بسنة نبيكم وما كان عليه أصحابه من قبل أن يقتلوا صاحبهم ومن قبل أن يفعلوا الذي فعلوا قد قرأنا القرآن من قبل أن يقتلوا صاحبهم ومن قبل أن يفعلوا الذي فعلوا وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء فحدث الحسن بذلك فقال : C صدق ونصح .

خرجه ابن وضاح وغيره .

وكان مالك كثيرا ما ينشد : .

(وخيرأمور الدين ما كان سنة ... وشر الأمور المحدثات البدائع) .

وعن مقاتل بن حيان قال : أهل هذه الأهواء آفة أمة محمد A أنهم يذكرون النبي A وأهل بيته فيتصيدون بهذا الذكر الحسن عند الجهال من الناس فيقذفون بهم في المهالك فما أشبههم بمن يسقي الصبر باسم العسل ومن يسقي السهم القاتل باسم الترياق ! فأبصرهم فإنك إن لا تكن أصبحت في بحر الماء فقد أصبحت في بحر الأهواء الذي هو أعمق غورا وأشد اضطرابا وأكثر صواعق وأبعد مذهبا من البحر وما فيه ففلك مطيتك التي تقطع بها سفر الضلال اتباع السنة .

وعن ابن المبارك قال : أعلم أي أخي ! إن الموت كرامة لكل مسلم لقي ا على السنة فإنا وإنا إليه راجعون فإلى ا نشكو وحشتنا وذهاب الإخوان وقلة الأعوان وظهور البدع وإلى ا نشكو عظيم ما حل بهذه الأمة من ذهاب العلماء وأهل السنة وظهور البدع .

وكان إبراهيم التيمي يقول : اللهم اعصمني بدينك وبسنة نبيك من الاختلاف في الحق ومن اتباع الهوى ومن سبل الضلالة ومن شبهات الأمور ومن الزيغ والخصومات .

وعن عمر بن عبد العزيز C كان يكتب في كتبه : إني أحذركم ما مالت إليه الأهواء والزيغ

البعيدة .

ولما بايعه الناس صعد على المنبر فحمد ا وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إنه ليس بعد نبيكم نبي ولا بعد كتابكم كتاب ولا بعد سنتكم سنة ولا بعد أمتكم أمة ألا وإن الحلال ما أحل ا في كتابه على لسان نبيه حلال إلى يوم القيامة ألا وإن الحرام ما حرم ا في كتابه على لسان نبيه حرام إلى يوم القيامة ألا وإني لست بمبتدع ولكني متبع ألا وإني لست بقاض ولكني منفذ ألا وإني لست بخازن ولكني أضع حيث أمرت ألا وإني لست بخيركم ولكني أثقلكم حملا ألا ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم نزل .

وفيه : قال عروة بن أذينة عن أذينة يرثيه بها : .

(وأحييت في الإسلام علما وسنة ... ولم تبتدع حكما من الحكم أسحما) .

(ففي كل يوم كنت تهدم بدعة ... وتبني لنا من سنة ما تهدما) .

ومن كلامه الذي عني به ويحفظه العلماء وكان يعجب مالكا جدا وهو أن قال : سن رسول ا A وولاة الأمر من بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب ا واستكمال لطاعة ا وقوة على دين ا ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفه من عمل بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه ا ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا .

وبحق وكان يعجبهم فإنه كلام مختصر جمع أصولا حسنة من السنة : منها ما نحن فيه لأن قوله : ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها قطع لمادة الابتداع جملة وقوله : من عمل بها مهتد ـ إلى آخر الكلام ـ مدح لمتبع السنة وذم لمن خالفها بالدليل الدال على ذلك وهو قول ا سبحانه وتعالى : { ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا } ومنها ما سنه ولاة الأمر من بعد النبي A فهو سنة لا بدعة فيه البتة وإن لم يعلم في كتاب ا ولا سنة نبيه A نص عليه على الخصوص فقد جاء ما يدل عليه في الجملة وذلك نص حديث العرباض بن سارية Bه حيث قال فيه : [فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين والمهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور] فقرن عليه السلام ـ كما ترى ـ سنة الخلفاء الراشدين بسنته وإن من اتباع سنته اتباع سنتهم وإن المحدثات خلاف ذلك ليست منها في شيء لأنهم Bهم فيما سنوه إما متبعون لسنة نبيهم عليه السلام نفسها وإما متبعون لما فهموا من سنته A في الجملة والتفصيل على وجه يخفى على غيرهم مثله لا زائد على ذلك وسيأتي بيانه بحول ا .

على أن أبا عبد ا الحاكم نقل عن يحيى بن آدم قول السلف الصالح : سنة أبي بكر وعمر قول مع يحتاج لا وأنه السنة تلك على وهو مات A النبي أن يعلم أن فيه المعنى أن هما B النبي A إلى قول أحد وما قال صحيح في نفسه فهو مما يحتمله حديث العرباض Bه فلا زائد إذا على ما ثبت في السنة النبوية إلا أنه قد يخاف أن تكون منسوخة بسنة أخرى فافتقر العلماء

إلى النظر في عمل الخلفاء بعده لعلموا أن ذلك هو الذي مات عليه النبي A من غير أن يكون له ناسخ لأنهم كانوا يأخذون بالأحداث فالأحداث من أمره وعلى هذا المعنى بنى مالك بن أنس في احتجاجه بالعمل ورجوعه إليه عند تعارض السنن .

ومن الأصول المضمنة في أثر عمر بن عبد العزيز أن سنة ولاة الأمر وعملهم تفسير لكتاب ا وسنة رسوله A لقوله : الأخذ بها تصديق لكتاب ا واستكمال لطاعة ا وقوة على دين ا وهو أصل مقرر في غير هذا الموضع فقد جمع كلام عمر بن عبد العزيز C أصولا حسنة وفوائد مهمة .

ومما يعزى ل أبي إلياس الألباني : ثلاث لو كتبن في ظفر لوسعهن وفيهن خير الدنيا والآخرة اتبع لا تبتدع اتضع لا ترتفع ومن ورع لا يتسع ولآثار هنا كثيرة